تفريغ محاضرة رقم (١)

- دورة قضية الإيمان بالقضاء والقدر (الدورة المكثفة) -

للشيخ / خالد منصور

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا المصطفى محمداً عبد الله ورسوله صلوات الله وتسليماته عليه وعلى أله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد،،

إن شاء الله سنبدأ في دورة مكثفة في سويعات قليلات، نناقش فيها قضية من قضايا العمل الإسلامي المعاصر، ألا وهي قضية العمل الجماعي.

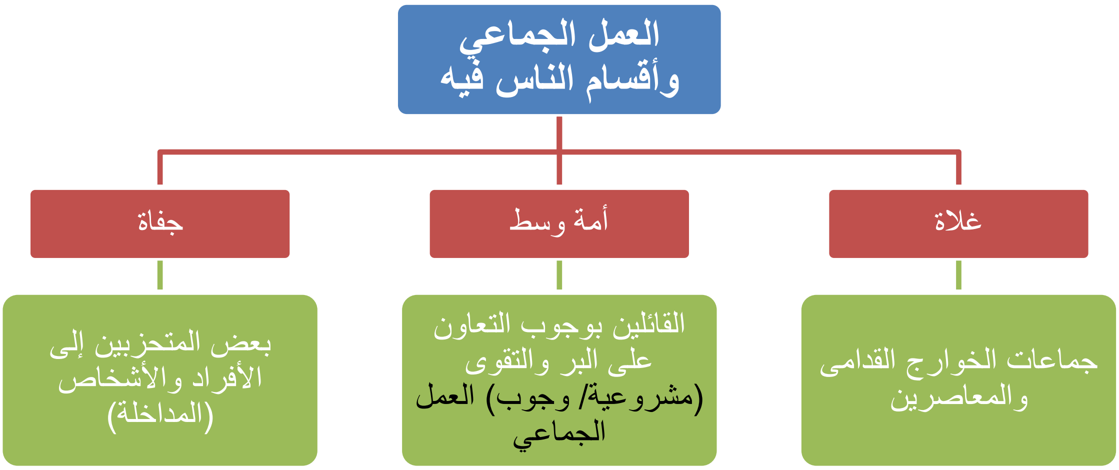
وطبعاً من هذه القضايا التي كَثُرَ الزخم حولها، والجدل في مسلماتها؛ قضية العمل الجماعي، وهل يشرع أن يجتمع الناس في صورة يعني جماعية منظمة تُوزع فيها الأدوار، ويُسمع فيها ويطاع على مقتضى إقامة الفرائض الشرعية الكفائية والسنن الشرعية الكفائية، أم إن مجرد الإجتماع ده في حد ذاته بدعة من البدع وضلالة وإنحراف عن سواء السبيل؟

طبعاً هذه المسألة يعني النظرة الأحادية والقصور في تتبع الأدلة، وتحميل الأدلة ما لا يحتمل أو ما لا تحتمل بيؤدي بالناس بعامة وبالإسلاميين أو بشباب الدعوة بخاصة إلى نتائج غير مُرضية بالمرة.

وبدلاً من أن يناقش الناس أو يدافع الناس أو ينافح الناس البدع ويطردونها ينبذونها، يقعون في البدع من حيث الدفاع عن السنة، ويقعون في التحزب المقيت من حيث يريدون الذم أو يريدون التحذير من هذا التحزب المقيت.

وطبعاً تحميل لنصوص شرعية كثيرة ما لا تحتمل، فعلشان نحاول نعتذر إلى الله عز وجل بأداء الأمانة في هذا المبحث الخطير ونضع النقاط على الحروف، إن شاء الله نبدأ مع بعض في رحلتنا، ونأخذ كده أكثر من وقفة، لعلنا يعني نُبْصر أقدامنا في معترك المتناقضات والخلافات الفكرية والمذهبية.

هنشوف كده أقسام الناس في العمل الجماعي بين: (غُلاة – وجفاة - وأمة وسط) على الطريقة التي إعتدنا عليها، كما قال القائل يعني: وبضدها تتميز الأشياء، مش هتقدر تشوف طريقك جيدًا في مسألة من المسائل ولا فكرة من الأفكار ولا حتى مبحث من المباحث الفقهية أو الفكرية أو العقدية أو غيرها، إلا إذا رأيت مدى الإنحراف عند فريق الغلاة وعند فريق الجفاء، وهنعرف طبيعة العمل الجماعي في قول القائلين: بالمشروعية بضوابطه، وإن شاء الله رب العالمين نبدأ في موضوعنا مباشرة، ونطلع على السبورة ونشوف تقسيم الناس في مسألة الأمر المتعلق بالعمل الجماعي.



هنقول هنا: العنوان الرئيسي الأول: العمل الجماعي وأقسام الناس فيه.

هنقول كالمعتاد: التقسيمة الثلاثية اللي معنا؛ إن العمل الجماعي بينقسم الناس فيه إلى ثلاثة أقسام إلى:

١/ غلاة غالوا في قضية العمل الجماعي إلى الحد الأقصى.

٢/ وإلى جفاة يعني جفوا وعن هذه المسألة جفوًا ظاهرًا.

٣/ وإلى أمة وسط، أخذوا بكل الأدلة، ولم يعني يُغَلِبوا جانبًا على جانب من غير مُسَوِغ شرعي.

من هم الغلاة في قضية العمل الجماعي؟ برضو هنلاقي إن جماعات التكفير والهجرة، جماعات الخوارج القدامى والمعاصرين، هم بيمثلوا جانب الغلاة، لأن الجماعة عند هؤلاء الغلاة شرط في الإسلام، يعني من كان منفردًا عن جماعةٍ ولم يدخل فيها ولم يبايع أميرًا فهو كافر مرتد وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، فالإنتماء للجماعة عند الجماعات الغالية شرط في صحة الإسلام، شرط في ثبوت الإيمان، (ومن نزع يدًا من طاعة أميرهم فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)، وعلى ظاهر هذا الحديث كفروا الدنيا كلها، وقالوا: لابد من الهجرة إلى إرض الإسلام اللي هم عايشينها في الصحراء، ولابد من الهجرة إلى الإمام اللي هم بايعوه، وطبعاً نوع من أنواع الحماقات يعني يركب بعضها بعضًا.

فريق الجفاة وهم يعني جماعات، مش هنقول جماعات بقى هم أفراد شُذاذ، وهم في حقيقة الأمر أحزاب متعلقة بأشخاص، نقول: بعض المتحزبين إلى الأفراد والأشخاص، على رأسهم في المعاصر هي المداخلة وبقية يعني إيه من لف لفهم أو يعني سلك سبيلهم، وإن لم يتسمى بأسمائهم، ناس كثيرة جداً جدًا.

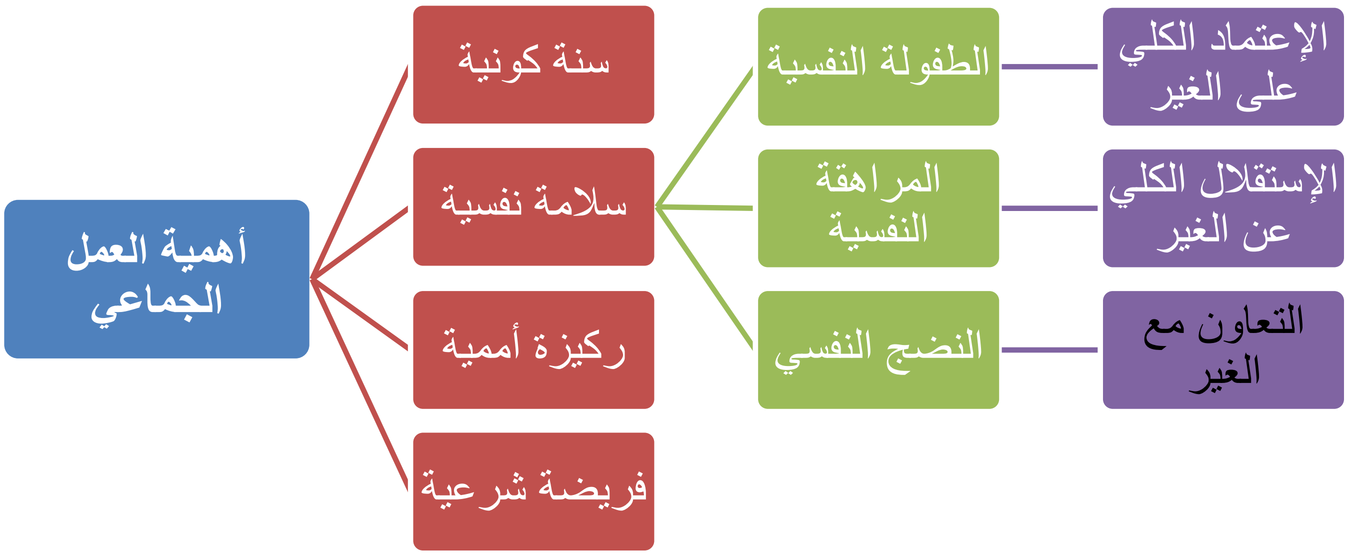
طبعاً المداخله نسبة للدكتور ربيع بن هادي المدخلي، اللي هو بدأ يعني يرفع عقيرته بتبديع أي تجمع إسلامي، وبدأ طبعاً يأخذ من رصيد الأخطاء الموجودة في الساحة الإسلامية من جامعات التكفير القديمة وجامعات الجهاد المسلح وجماعات العنف وجماعات الإخوان المسلمين، والريبة والمخططات التنظيمية اللي هي فيها، وأخذ هذه الأخطاء وجمعها، وقال: هو ده النموذج اللي موجود، ولا يُتصور قيام جماعةٍ إلا على هذا الشكل، وبناءً عليه كل جماعة حزب مردود، وكل جماعة فرقة ضالة من الفرق التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: (كلها في النار إلا واحدة).

دول إحنا هنأخذ معهم وقت كبير شوية في الرحلة بتاعتنا، بس مش ده موضع المناقشة في الشبهات.

الأمة الوسط: الذين قالوا: بوجوب التعاون على البر والتقوى، وإختلفوا يعني بين القول بمشروعية العمل الجماعي على سبيل الإجمال، مشروعية كده، أو القول أو وجوب العمل الجماعي، تمام؟ فبنجد إن الخلاف داخل مشروعية العمل أو وجوب العمل خلاف سائغ معتبر داخل أهل السنة والجماعة.

أما الغلو بجعله ركنًا من أركان الدين وشرطًا في الإيمان فده مرفوض تمامًا.

والجفو عنه بمعنى إن كل تجمع وكل طائفة قامت على البر والتقوى وعلى منهجٍ سواء؛ يبقى أيًا كان تجمعها غير الجماعة العامة والإمام العام الذي يُسمع له ويُطاعب يبقى هم فرقة مارقة، وده نوع من أنواع الإيه الأحزاب المردودة في الشريعة الإسلامية، كده تمام؟



طيب، نأخذ برضه التقسيمة الثانية، هنتكلم في مقدمة تتعلق يعني بعيد عن الأدلة التفصيلية عن أهمية العمل الجماعي، وهنلخصه في أربع نِقاط أساسية، هنقول:

١- العمل الجماعي سنة كونية.
٢- والعمل الجماعي سلامة نفسية.
٣- والعمل الجماعي ركيزة أممية.

٤- وفي الأخير هنقول: العمل الجماعي فريضة شرعية.

هنأخذ بقى كل واحدة من المعاني الأربعة دول ونتكلم عليها بنوع تفصيل عشان نصل إلى مرادنا في هذه، طبعاً نعرف نقول: إن دي كلها تعتبرها مقدمات، عشان نصل إلى هذه النتيجة.

فهنقول هنا: إن العمل الجماعي نظام الكون منذ خلق الله عز وجل الكون قبل أن يُهبط الله عز وجل آدم إلى الأرض إلى آخر يوم في أيام الدنيا أقام الله عز وجل نظام الكون على نظرية الإجتماع والإئتلاف والتعاون والتعاضد، فهنجد نظام البناء الذي بنى الله عز وجل به الكون هو نظام واحد، نظام السنة الكونية من الذرة إلى المجرة، لو جينا بقى نخش في أصغر وحدة بنائية لهذا الكون، ألا وهي الذرة هنلاقيها عبارة عن إيه عن نموذج يتصور أو يتصور فيه قيام العمل الجماعي المنظم، هنا النواة وبعدين مجموعة من الإلكترونات تدور حول مسارات ثابتة، كل بقى مسار فيه عدد من الإلكترونات يعني يزيد أو ينقص عن غيره، تمام؟ وبنلاقي إن هنا قوة الجذب المركزية هنا فين؟ في النص؛ اللي هي النواة وتعتبر دي مركز إدارة هذه الذرة والمسارات المحيطة كل إلكترون عارف دوره بالضبط وعارف مساره بالضبط، لا بيزيد في السرعة ولا بينقص، تمام؟

وهنا بنقول: إن نفس القانون اللي ربنا سبحانه وتعالى بنى عليه الذرة هو القانون المتصاعد في البناء، يعني بعد الذرة اللي هي أصغر وحدة بنائية في هذا الكون، بنصل بنفس القانون إلى أعلى وحدة بنائية في هذا الكون اللي هي المجرة، المجرة عبارة عن إيه؟ لأن الشمس بتاعتنا دي مجموعة شمسية وحوليها مجموعة من الكواكب، بتدور بنفس القانون وبنفس النظام وبنفس النسق للي هي الإكترونات حول مدار الذرة أو حول نواة الذرة، بنفس القانون لأنه نفس القوة الجاذبة، ونفس المسارات، ونفس تحديد الأدوار، ونفس النسق، حتى نفس الإتجاه اللي هو زي إتجاه الطائفين حول الكعبة، فبنجد القانون واحد مطردًا من الذرة إلى المجرة.

وبننبه بقى على مسألة إن إحنا لو حاولنا إن إحنا نستفز أي إلكترون من هذه الإلكترونات اللي بتدور حول النواة عن أن يخرج عن مساره أو عن أن يغادر ما وُضع له من خطة دوران حول هذا المركز، إيه المتوقع؟ المتوقع أن يحصل إنشطار يعني نووي مخيف جداً جدًا، بل عشان تأخذ بالك أن نظرية القنابل الذرية والنيتروجينية والهيدروجينية إلى آخره، القنابل الضخمة اللي بتدمر الكون دي، كلها قائمة على نظرية الإستفزاز دي، إن هو بيستفز إلكترون عشان يخرج ويغادر المسار بتاعه، هوب يعني خلل في نظام الذرة يساوي خللًا في نظام العالم، عشان الشرع ينبهك (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)، التدبر في السماء، والتدبر في الأرض، والتفكر في مخلوقات الله عز وجل، تجد إنسجامًا عجيبًا جداً بين قانون الكون وبين قانون الشرع، بين السنن الكونية وبين السنن الشرعية، فمش ممكن أبدًا يكون ربنا بنى الكون على قانون واحد، على نسق واحد من الذرة إلى المجرة، وبعدين تأتي تكاليف الشرع في إدارة الأفراد والأمم والجامعات على خلاف هذا النسق الكوني، وعلى خلاف هذا السَنَن الكوني، وإلا الكلام ده يبقى فيه نوع من أنواع التكليف بما لا يُطاق، لأنه لا يطيقه إنسان، أنت مخلوق في هذا الكون لتنسجم معه، أنت مخلوق في هذا الكون لتتدبر سنة الله فيه، أنت مخلوق في هذا الكون لتعتبر بمخلوقات الله عز وجل وآياته.

يبقى بنقول: إن العمل الجماعي سنة كونية، كل المخلوقات الموجودة في الكون برضو بنجد أن كثير من الكائنات الحية المدركة وغير المدركة تعيش في أمم وتعيش في جماعات، يعني عالم النمل، وعالم النحل، وعالم الطير، وعالم الأسماك، وعالم الوحش في البرية، كلها تعيش في أمم وجماعات، ولها رأس يحركها، وتصدر عن أمره وتوجيهاته، (أمم أمثالكم) كما قال الله سبحانه وتعالى.

حتى لو نظرنا في وحدة بنائية صغيرة جداً شكل الإيه؟ الجدار اللي قدامنا دا، هنلاقيه عبارة عن لَبنات، لبنات متراصة، وفي مادة رابطة، وفي قانون للبناء، وفي كل مستوى له دوره وله نظامه، لو إحنا جبنا مجموعة الأحجار اللي بتكون الجدار ده، نقل الطوب مثلًا بالمصطلح الدارج، وقمنا قالبينهم على الأرض، وجبنا شكارتين ثلاثة أسمنت ودلقناهم

فوقهم، وجبنا شوية رمل وحطيناهم فوقهم، ورحنا مغرقينهم مية هيعملوا جدار؟ طب ما هي المكونات كلها موجودة، إيه اللي ما خلهاش فيها جدار؟ النظام، ما فيش نظام.

ولذلك هنا من المضحكات المبكيات إنك تجد بعض المجافين أو بعض الجافين عن العمل الجماعي مُبَدعين لكل إجتماعٍ على طاعة الله عز وجل، يقول لك: إحنا ماشي، الأوامر الشرعية بالإجتماع والإئتلاف كثيرة جداً جدًا، وما نقدرش نرد فيها، بس بلاش نظام النظام ده، عايزين عمل جماعي غير منظم، طب عمل جماعي غير منظم يبقى إيه؟ ده يبقى هنا حتى إحنا إجتمعنا إجتماعاً أقل من إجتماع الحيوانات، ده ما فيش مجموع كوني أو مجموع مخلوقات مع بعضها من جنس واحد في الدنيا من الحشرات والجراثيم والميكروبات إلى الحيوانات الضخمة جداً جدًا إلى الحيتان في البحر إلى الطيور في السماء إلا وهي تعيش في إيه؟ في نظام محدود معدود، وله قوانين سواء عرفناها أو ما عرفناهاش، فكونك إن أنت تتكلم هذا الكلام الهزيل، وتقول لي: ماشي عمل جماعي بس مش منظم، والثاني يقول لي: عمل جماعي منظم، بس بلاش مسألة الإيه؟ المسئول والمدير والأمير والسمع والطاعة، الله! طب ما إحنا لو قلنا عمل جماعي منظم، وكل واحد اللي في دماغه عايز يعمله يعمله، ما هي دي الغوغائية بعينيها، هو ده لعب العيال بعينه، لما يبقى كل إنسان يقول له دلوقتي: أنا كبرت في دماغي أصلي بكم إمام، لأ أنا مش عايز أخطب الجمعة أنا عايز أسمع أنا، لأ أنا مش عايز أجي الدرس النهاردة أنا عايز أجي بكرة، أقول لكم: أنا هأدي الدرس العصر وأنتم تجيئوا المغرب، ده فوضى، فوضى عارمة، هذا كلام يكفي في نقده مجرد حكايته، يعني لو الإنسان ده بيتكلم بيعقل ما يخرج من رأسه كده يتكسف يقول كلام شكل كده.

فإحنا بنقول: إن أول أو أول أهمية بنلاحظها في كون الله عز وجل، وفي آيات الله سبحانه وتعالى أن العمل الجماعي سنة كونية، بنى الله عز وجل بها الكون أجمع من أصغرِ وحدةٍ بنائية إلى أكبر وحدةٍ بنائية، سنة مضطردة من ذرة إلى المجرة.

فهنا بنقول برضه: إن العمل الجماعي وصورة التعاون مع الغير هي صورة من صور سلامة النفسية البشرية، ليه؟ لأن الإنسان بيمر بثلاث أحوار أه ثلاث محاور في حياته: المحور الأول محور الطفولة أو المرحلة الاولى مرحلة الطفولة، بعد كده مرحلة المراهقة، بعد كده مرحلة النضج والتمام، كل بني آدم ماشيين على هذا النسق، كل بني آدم مسلمين وكفار وعرب وعجم، نساء رجال، بيض سود، سُلام معوقين، ماشيين بنفس النسق ده كده، والطبيعي إن الإنسان في مرحلة الطفولة يكون طفلًا جسديًا، يكون طفلًا عقليًا، يكون طفلًا نفسيًا، كل الناس كده، ما فيش حد نازل من بطن أم شيخ مثلًا، ولا حد نازل من بطن أمه بالغ، ولا حد نازل من بطن أمه عبقري، وهو لسه في اللفة، لأ (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون).

طيب هنا في مرحلة الطفولة النفسية؛ أئمة التربية وأساتذة الطب النفسي الكبار بيقولوا: إن الطبيعي في مرحلة الإيه؟ الطفولة النفسية والطفولة الإنسانية بيبقى الإنسان معتمدٌ إعتمادًا كليًا على الغير، في أكله، في شربه، في لبسه، في نظافته الشخصية، في إحساسه بالفرح بالألم، هو ما بيعرفش يعمل حاجة، (أينما توجهه لا يأتي بخير)، هو ما لوش أي حيلة، الطفل الصغير أمه بتأكله، أمه بتشربه، أمه بتحس به، أمه بتطبطب عليه، أمه بتفرحه، أمه بتصبر عليه، أمه بتنظفه، هو لا يملك لنفسه شيئًا، وده طبيعة الإيه؟ طبيعة مرحلة الطفولة النفسية، الإعتماد الكلي على الغير، طبعاً بيكبر شوية بشوية من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الصبا، وبينتقل في مرحلة الصبا إلى مرحلة المراهقة، أي مقاربة البلوغ، لسه هيبقى ناضج، لسه هيبقى بالغ، ففي المرحلة دي بيبقى نوعًا من أنواع التمرد على مرحلة الطفولة، الإنسان في مرحلة المراهقة بيبقى عنده نوع من أنواع التمرد الرفض الإباء، لأ في أي حاجة، نفسه يقول: لأ للدنيا كلها، ما هو طبعاً في مرحلة الطفولة، حاضر يا بابا، حاضر يا ماما، حاضر يا ميس، حاضر يا مستر، حاضر يا عمو، حاضر يا خالتو، بيقول حاضر لكل الناس كلها، نعم لكل الناس كلها، فأول لما يطلع بطاقة ويشارك في أي تصويت، لا، بيصرخ للدنيا كلها يقول لها: لأ، ما فرصة، بأقول: لأ ورسميًا، ومعاه بطاقة كمان تخليه يقول: لأ.

ولذلك لما تيجي تشوف في مسائل التصويتات الإنتخابية، تلاقي أكثر القائلين: لا، يدوبك لسه مطلع بطاقة وجاي يحط صوته، هو جاي يقول: لأ، هو عمل البطاقة فقط عشان يقول: لأ وخلاص، أنا طول عمري بقول: أه، أخذت إيه؟ فده نوع من أنواع التمرد، فبنجد المراهقة النفسية شعارها الإستقلال الكلي عن الغير، ماشي على نظرية يا أرض إنهدي ما عليك قدي، يقدر يحس أو يقدر يوهم نفسه إن هو يستقل عن الدنيا كلها، لا هو عايز أبوه، ولا عايز أمه، ولا عايز أصحابه، ولا عايز المدرسة، ولا عايز المهنة، ولا عايز الشغلة، ولا عايز الرياضة، ولا عايز الشلة، رافضك يا زماني ويا مكاني، عايز أعيش في كوكب ثاني، عيل أهبل، طايش أوفر، مجنون سخن، طبيعي، دي نوع من أنواع المراهقات النفسية بنسمعها بقى في الأغاني، وبنسمعها في الأشعار، وفي غيره، وده تعبير عن حالة نفسية بيمر بها الإنسان، تقول: الله! بس الراجل المطرب بتاع هاجرك يا زماني ده عدى الثلاثين ده على وش أربعينات أو خمسينات كمان؟ ده إحنا عارفينه من زمان! أيوا، ما هي القصة قصة المراهقة النفسية مش السِنية، المراهقة النفسية مش الجسدية، لأنه ممكن يكون طلع من اللفة وكبر خلاص، ووصل في مرحلة المراهقة وعداها كمان، وشعره شاب، وسنانه وقعت، وظهره إنحنى ولسه محبوس في البزازة، لسه في حتة: ماما هتأكلني، وبابا هيجوزني، وعمو هيلبسني، وخالو هيفسحني، وفلان هيجيب لي، وفلان هيوديني، بلوى من البلاوي، هو نفسيته محبوسة في البزازة هناك في اللفة، إنما هو جسديًا خلاص بقى ما شاء الله طول بعرض، جسديًا خلاص أو سنيًا عمريًا، عنده سبعين ثمانين سنة، لكن هو لسه محبوس في البزازة، تمام؟

ولذلك ربنا بيشير إلى هذه المعاني في قول الله عز: (الله الذي خلقكم من ضعفٍ ثم جعل من بعد ضعفٍ قوة ثم جعل من بعد قوةٍ ضعفًا وشيبةً) مش ضعف الجسد بس، ممكن ضعف الذهن كمان، ضعف العقل كمان، وممكن يكون صاحبك أصلًا ما طلعش من البزازة من صغره، هو إتحبس نفسيًا وكبر جسديًا، كبر جنسياً، كبر بعداد السنوات، إنما هو لسه نفسيته هناك، والثاني لسه نفسيته محبوسة في منطقة يا أرض إنهدي ما عليك قدي، أنا ومن بعدي الطوفان، لسه إختياراته شمشونية، اللي هي مرحلة إيه؟ الإستقلال الكلي عن الغير.

كل اللي رافضين العمل الجماعي لا يسلم منهم أحد من هذا الإضطراب النفسي، وإتحدى، وبيني وبينكم دكاترة نفسيين، هاتوا وقعدوا مع دكتور نفسي، شوفوا سوي النفسية؟ شوفوا إنسان كده يعتمد عليه؟ شوفوا إنسان يعرف حتى يمشي بيت فيه زوجة وعيلين؟ ما يعرفش، لأنه لا يرى إلا نفسه، لا يرى إلا نفسه.

وعلى فكرة القرآن حذرنا في ذكر هذه النفسية أو عن ذكر هذه، حذرنا من هذه النفسية من ذكرها في مواضع كثيرة في القرآن، عندنا ثلاث نماذج في القرآن بيمثلوا لنا مراحل المراهقة النفسية، رغم إن أصحابها مش صغيرين، ولا شباب، بل طاعنين في السن جداً، ورموز كبيرة جداً جدًا، وأصحاب أموال وأصحاب رياسات، وأصحاب زعامات، بل بعضهم وصل إلى ما هو أعلى من ذلك بكثير:

النموذج الأول: نموذج صاحب الجنتين؛ (وإضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعنابٍ وحففناهما بنخلٍ وجعلنا بينهما زرعًا...) الآيات، بيقول لصاحبه بقى: أنا إيه؟ (أنا أكثر منك مالًا وأعز نفرًا)، فشعار مرحلة المراهقة النفسية هو شعار الأنا، شعار مرحلة المراهقة النفسية هو مرحلة الإستقلال الكلي عن الغير.

عشان ما ننساش نكتب المراحل الثلاثة، وبعدين نشوف النماذج القرآنية التي ذكرها القرآن على سبيل الذم والتنفير، يبقى إحنا بنقول هنا كده:

١- الطفولة النفسية.
٢- المراهقة النفسية.
٣- النضج النفسي والكمالي.

قلنا دي المرحلة دي لها شعار صح؟ كل مرحلة من دول لها شعار يُبرز صفتها النفسية.

المرحلة الأولى: الإعتماد الكلي على الغير، كده تمام؟ الاعتماد الكلي على الغير.

المرحلة التانية: الإستقلال الكلي عن الغير، ولذلك أنت تجد في مرحلة المراهقة دي ممكن بعض الناس تظهر عليه مخايل النضج كده، كأنه لسه هيبقى راجل، ويبقى عاقل، ويبقى

مستقر، ويبدأ يعمل عمل جماعي، ويشتغل مع ربنا سبحانه وتعالى ومع إخوانه ومع دعوته ومع مشايخه ومع مؤسساته، ويبقى حلو قوي، أول لما يشوف نفسه يقول: الله! أنا مش محتاجهم؛ ده هم اللي محتاجيني، فهيبدأ يمشي بقى على نظرية اللي عاوزني يجيني أنا ما بروحش لحد، تمام؟ فتعالى إحضر؛ لأ، طب مش عارف كذا؟ لأ، طب نحط الخطة الفلانية؟ لأ، ما هو لأ لأ لأ لأ، سلسلة اللقاليق الكثيرة قوي دي، بتبقى بقى شعار لصاحبك في المرحلة دي، فالحل إيه؟ يقول لك: طب خلاص بقى نلم الدنيا دي كلها، وسيبك من الناس دول، ونقعد في حتة كده، واللي عاوزني يجيني بقى، هو مش عايز يشتغل مع حد، هو شايف نفسه ما فيش حد يديره، ما فيش حد يوجهه، ما فيش حد ينصحه، هو لوحده كفاية عليه قوي، هو يقدر يدور الدنيا كلها.

فهنا بنقول: النماذج الثلاثة اللي القرآن ذكرها في مرحلة التربية، عفوًا مرحلة المراهقة النفسية موقف صاحب الجنتين، يبقى هو بيقول: (أنا أكثر منك مالًا وأعز نفراً) أنا أكثر، أنا كثير قوي، أنا ياما قوي، أنا مش حاجة بسيطة، أنت ما أنتاش عارف بتكلم مين؟ قف كويس وشف بتكلم مين كويس؟ حاسس أنه حاجة كبيرة قوي، (أنا أكثر) دي مصيبة لوحدها.

الثانية بقى النموذج الثاني فرعون مصر، اللي هو قال: (أنا ربكم الأعلى)، فرعون مصر اللي قال: (أنا ربكم الأعلى)، ما هي كبرت معه أنا أكثر، أنا أكبر، أنا أحسن، أنا أجدع، أنا ما فيش مني، خلاص تكة بقى واللي بعديها (أنا ربكم الأعلى)، ما تستغربش.

ابن القيم رحمه الله عز وجل بيقول: في نفس كل ابن آدم فرعون، يقول: (أنا ربكم الأعلى) لكن الأول قدر فنطق، والثاني عجز فسكت، هي القصة كلها قصة إيه؟ قدرة وعجز، هو طول ما هو حاسس إنه يقدر بيعمل، فيه ناس كثيرة جداً جدًا مش شايفة حاجة حرام أبدًا إلا ما لا تقدر عليه، الحرام الحاجة الوحيدة الحرام الكوني، إنما الحرام الشرعي لأ، يعني الحرام الذي هو الشيء الذي لا يستطيعه فقط، غير كده مش حرام، أي حاجة يقدر يعملها بيعملها، أي حاجة، وإسرح بدماغك زي ما أنت عايز، طالما أنها مقدورة له فليست حرامًا

عنده، وده نوع من أنواع الشيطنة، نوع من أنواع الفرعنة، ده لو خُلي وهواه لقال: (أنا ربكم الأعلى).

يبقى ابن القيم رحم الله تعالى لما يقول: في نفس كل ابن آدم فرعون يقول: (أنا ربكم الأعلى) لكن الأول فرعون الأولاني، قدر فنطق، ما هو عنده أنهار وجبال وجيوش والدنيا كلها تحت يديه، فلما قال: (أنا ربكم الأعلى) ما لقاش حد يلومه، يا فرعون إيش فرعنك؟ قال: ما لقتش حد يلمني، فكله آمين، عادي جدًا، والثاني هو بيدور على فرصة، فكل واحد جواه فرعون بيدور على فرصة، عشان لما يقول: (أنا ربكم الأعلى) يشوف عدد المصوتين له بـ(سمعنا وأطعنا) كم واحد؟ ودي نوع من أنواع الشيطنة، والمروق والفرعونية والتجبر، دا مرض، دا خلل في المرحلة النفسية.

إبليس نفسه برضه أبو هؤلاء الذي يقول: (أنا خير)، أنا أحسن حاجة في الدنيا، أنا أحسن واحد في الدنيا، ما حدش في الدنيا بيفهم إلا أنا، تمام؟ ما حدش فاهم اللي أنا عايزه، ما حدش في الدنيا على مستوى عقلي، ما حدش في الدنيا في طاعتي، ما حدش في الدنيا في عملي، شيطان مريد، (أنا خيرٌ منه)، فنفسية (أنا خيرٌ منه) هي نفسية المراهقة النفسية، نفسية (أنا أكثر منك) هي نفسية المراهقة النفسية، نفسية (أنا ربكم الأعلى) هي دي آخر المطاف، تمام؟

بعد كده بنقول: الإنسان بقى بيمر إذا أراد الله عز وجل به خيرًا ونجاه من هاتين المرحلتين، وتم خلقته ونماءه على خير، وصل لإيه لبَر الأمان، ووصل لمرحلة التعاون مع الغير.

يبقى هنا إعتمادٌ كُلي على الغير، وهنا إستقلال كلي عن الغير، ونخلي ده بقى لون مميز كده ونقول: التعاون مع الغير.

والتعاون مع الغير ده اللي ربنا سبحانه وتعالى ذكر لنا في كتابه أنه سَنَنُ الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، لما أوحى الله إلى كليمه وصفيه موسى بتوراته ووحيه إليه قال: (وإجعل لي وزيرًا من أهلي)، أنا لوحدي مش هنفع، وإن كان كليمًا، وإن كان صفيًا، وإن كان نبيًا، وإن كان رسولًا، وإن كان من أولي العزم من الرسل، يد لوحدها ما تسققش

يا رب، أنا ما أعرفش أشيل لوحدي، (وإجعل لي وزيرًا من أهلي * هارون أخي * إشدد به أزري * وأشركه في أمري)، كل كلمة بتدل على النضج النفسي، كل كلمة بتدل على الكمال العقلي، (إجعل لي) إفتقار، وزيرًا تقدير لأن ده في إيه؟ ذراعي اليمين؛ ما فيش حد أحسن من حد، رأسي برأسه، زيي زيه، يؤازرني ويعاضدني، (وإجعل لي وزيرًا من أهلي) إحنا لحم ودم وإخوة (ومثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد)، (وإجعل لي وزيرًا من أهلي * هارون أخي) (إني أنا أخوك) رابطة الأخوة، وآصرة الأخوة، عليها تقوم قضية العمل الجماعي الصحيح، ده الأمل المنشود، ده المستهدف في مسألة العمل الجماعي، (هارون أخي * أشدد به أزري)، مش مشيه ورائي، مش خليه طوع لي، مش خليني قاعد في مركز القيادة أخطط وأدبر، والجماعة أنا آسف في اللفظ الفواعلية يشيلوا الشيلة، لأ.

لأ النبي محمد ﷺ يضرب أروع الأمثلة في القيادات الصحيحة، في العمل الجماعي الرأس برأس أدنى جندي، يوم الخندق النبي يحفر ويشيل التراب في حجره، ويتعفر بطنه الشريف ويرتجز: (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، اللهم لولا أنت ما إهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزلاً سكينة علينا، وثبت الأقدام إن لاقينا، إن العِدا قد بغوا علينا، إذا أرادوا فتنةً أبينا) والصحابة يرددوا: أبينا أبينا، عايشين مع النبي حياة، كله زي بعضه.

الصحابي يجي يقول للنبي ﷺ رسالة صامتة، يكشف بطنه عن حجرٍ، يعني مش عايزة كلام، بطنه لزقت في ظهره وحاطط حجر على عشان يسند يُسكت كلب الجوع، فالنبي يرد له برسالة صامتة برضو، فيكشف رسول الله عن بطنه عن حجرين، يعني يوعك كما يوعك الرجلين، ويجوع قد عشرين واحد مننا، وبرضه بيحفر معنا وبيشيل معنا.

إنما إدارات التكييف، ومجالس إدارة الغُرف المكيفة لا ما تنفعش، النبي مش كده ﷺ، ينزل في قلب المعمعة، وينزل في قلب الشغل، أنس يقول: "كنا إذا حمي الوطيس إحتمينا برسول الله ﷺ)، ما كانش بيدير الغزوات من الغرفات، غرفات العمليات، غرفة عمليات على بعد بالريموت كنترول أبدًا أبدًا.

ولذلك بنقول: أنه لا يتم لنا عمل جماعي أبدًا على الوجه الأكمل إلا إذا تنازل السادة الرواد من عن كراسي القيادة أحيانًا، ونزلوا إلى أرض الجندية، ولو مرة بعد مرة، إنما صاحبك مثبت في الإيه؟ في كرسي الإدارة زي ما فرعون كده مثبت في عرش مصر، وقاعد بقى يعني على نظرة فيها لا أخفيها، تمام؟ يا عم إنزل معنا، يدك بأيدينا، حس بنا، خليك في وسطنا، عشان تأخذ قرار صحيح، لازم تبقى في أرض الشغل، أما الإدارة بالريموت كنترول ما هكذا تدار الدعوات، المسألة محتاجة تعديل.

يبقى هنا التعاون مع الغير، وهذا منهج نبوي قرآني ضارب بجذوره في عمق التاريخ.

ونبي الله محمد ﷺ أقام (خير أمةٍ أُخرجت للناس)، وربى الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم في مسألة التعاون مع الغير بخطط رائعة جداً جدًا، تُدرس يعني عند كل ذوي الفهم والإعتبار بسُنن السابقين.

فنشوف بقى تقرأ في سيرة النبي ﷺ، كل مشهد ينضح فقهًا، وينضح عقلًا، وينضح يعني يعني إيه؟ نقول يعني نضجاً في إدارة المشاهد على مستوى الأفراد، وعلى مستوى الجامعات، وعلى مستوى الحروب، وعلى مستوى المعاهدات، كل حاجة، ليه؟ لأن هو معه مركز كبير جداً جدًا من المتعاونين على البر والتقوى، أقام روح الأخوة في أصحابه رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وبلغهم جميعًا مرحلة السلامة النفسية، ونقلهم جميعًا إلى قول الله عز وجل: (كنتم خير أمةٍ أُخرجت للناس).

بعد ما نعرف إن العمل الجماعي سنة كونية وسلامة نفسية بنصل إلى المحطة الثالثة وإن العمل الجماعي ركيزة أُممية، ما من أمة من الأمم إلا وكان قطب رحى حضارتها هي العمل الجماعي، في مؤسسات كبيرة متعاضدة مع بعضها، في عقليات بيخدم بعضها بعض، في خبرات وقدرات يخدم بعضها بعضًا، (مثل المؤمن للمؤمن كمثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى)، النبي ضرب أروع من ذلك فقال: (مثل المؤمن للمؤمن كمثل الجسد الواحد)، يبقى إحنا حتى بقى مش في النظافة الحسية، لأ ده في التواصل الشعوري النفسي من الداخل، (إذا إشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر).

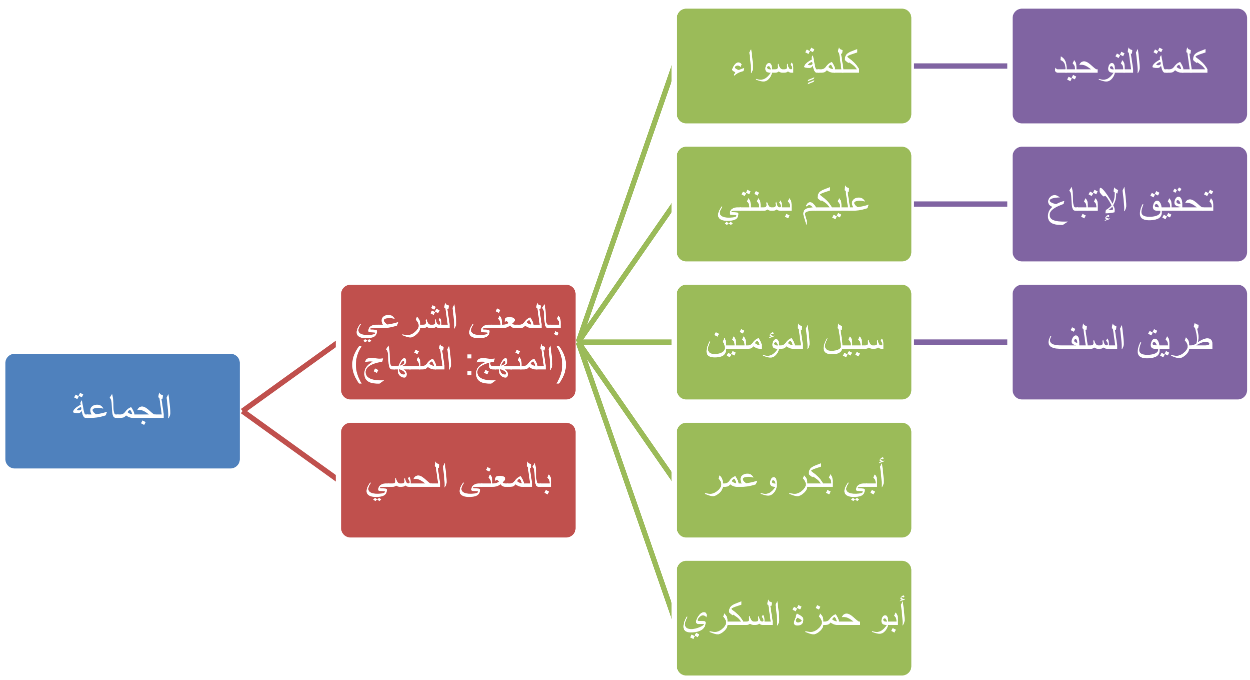
الفراعين وعباد الأوثان واليونان والرومان والهند والترك والصين كلهم أقاموا حضارتهم، وأقاموا دولهم على ركائز جماعية ومؤسسية، مش ممكن أبدًا أبدًا تجد دولة عمرت على عبر التاريخ ولو لسنة واحدة وكانت ماشية على نظرية يا أرض إنهدي ما عليك قدي، أبدًا ما يحصلش، المركب اللي فيها رئيسين بتغرق، فتخيل دولة كل واحد فيها على نظرية رئيس جمهورية نفسي، ما هو ده على التوكتوك دلوقتي مكتوب، مكتوب على ظهر التوكتوك، دي نفسية مريضة، رئيس جمهورية نفسي يعني ما حدش يمشي علي كلمة، رئيس جمهورية نفسي، يعني ما حدش في الدنيا له قيمة، رئيس جمهورية نفسي، يعني أنا خير منه، رئيس جمهورية نفسي يعني أنا أكثر، رئيس جمهورية نفسي (أنا ربكم الأعلى)، هو ده ما قالها ولابد، ولذلك هؤلاء شذاذ في الأمم، شُذاذ في الأمم والمجتمعات، حالات مرضية تستأهل العلاج والمداواة، إنسان يرفض هذا العمل لأنه شايف نفسه أفضل من الكل، وما حدش، وعلى فكرة كلام في سرك يعني، مش في سرك قوي أهو بيتصور أهو، إن أي حد من الجماعة الرافضين العمل الجماعي دول لو قلت له أنت الأمير، وأنت الكبير، وأنت الوزير، يقول لك: طب جزاكم الله خيرا، نسأل الله أن يرزقنا التواضع والإخلاص، أنت فاهم القصة إياها بقى، طالما في ملعبه تبقى زي الفل، ويبقى العمل الجماعي عليه سمنة وسكر، إنما طالما هو هيبقى في آخر الطابور، ولا في نصه ولا قبل الأخير، لأ يكفر بالعمل الجماعي، ممكن يحرم صلاة الجماعة بعد كده، لأن هو بيدور إنما يبحث عن رئاسة نفسه، واضح؟ وناس كثيرة برضه بالعكس، ناس مثبتة في العمل الجماعي عشان هي متسمرة في العمل الإداري، لو إتزحزح سِنة شمال، سِنة يمين، يكفر بالعمل الإداري، وبالعمل الجماعي، ومن شرعه ومن نادى به.

يبقى عايزين نفرق بين إن ده مطلب شرعي وإن ده حالة مزاجية، هي طلبت معه كده لأ، إحنا بنقول العمل الجماعي بعد ما نصل لمحطاته الثلاث: أنه سنة كونية، وسلامة نفسية، ركيزة أممية، هو في الأول والأخير فريضة شرعية، وده النتيجة الحتمية، مش ممكن يكون ربنا بنى قانون الكون من الذرة إلى المجرة، وخلق الناس أطوارًا، خلق الناس أطوارًا من الطفولة إلى المراهقة إلى النضج النفسي، وأقام أمم الأرض مسلمهم وكافرهم على هذا

القانون، ويجي في الآخر، يقول لنا: إكفروا بالعمل الجماعي، بدعوا العمل الجماعي، إرفضوا العمل الجماعي، أي تجمع حزبية مقيتة، أهو الكلام ده (ما أنزل الله بها من سلطان)، ده شغل ناس دماغها تعبانة، اللي يرى شريعة الله عز وجل تتنافى مع سُنن الله الكونية، هذا لا يعرف شيئًا عن كون الله، ولا عن شرعه سبحانه وتعالى.

يبقى إحنا بنقول: هنأخذ بقى وقت شوية طويل هنا مع قول النبي ﷺ: (عليكم بالجماعة)، ومن خلاله نفهم الصورة اللي نحقق بها العمل الجماعي، ونصل إلى هذا الحكم مش بالمشروعية بس، لأ بوجوب العمل الجماعي في أحيان كثيرة، تمام؟

هنأخذ بقى تفصيلية للنقطة الأخيرة في قول النبي ﷺ: (عليكم بالجماعة)، لبيان أن العمل الجماعي المؤسسي المنظم بضوابطه الشرعية، مش بالأهواء والأمزجة الشخصية، إنما هو تنفيذ لأمر نبويٍ صحيحٍ ثابتٍ لا يطعن فيه.



عندنا هنا هنشوف بقى قول النبي ﷺ: (عليكم بالجماعة) وهنقول: علشان نترجم اللفظ ده كده هنعرف إن كلمة (عليكم) دي إسم فعل أمرٍ بمعنى إلزم، يبقى النبي لما يقول لي: (عليكم بالجماعة) يعني إلزموا الجماعة، طب الجماعة هنا بقى هنلاقي لها معنيين إثنين من خلال التقسيم ده، الجماعة هنا بالمعنى الشرعي، والجماعة هنا بالمعنى الحسي، تمام؟

الجماعة بالمعنى الشرعي بنجدها في قول الله سبحانه وتعالى (كلمةٍ سواء)، (تعالوا إلى كلمةٍ سواء)، وفي قول النبي ﷺ: (عليكم بسنتي)، وفي قول الله عز وجل: (سبيل المؤمنين)، وفي قول النبي ﷺ: (إقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر)، وفي قول عبد الله بن المبارك: عليك بأبي حمزة السكري فإنه جماعة.

طيب يبقى هنا وصلنا إلى معنى من المعاني أن الجماعة بالمعنى الشرعي بتساوي المنهج، أو قل المنهاج؛ الأمر مش بعيد يعني، تمام؟ الكلمة السواء: كلمة التوحيد، (عليكم بسنتي) تحقيق الإتباع، (سبيل المؤمنين) طريق السلف، وده تفصيل أبو بكر وعمر أبو حمزة السكري.

يبقى إحنا لما نيجي نقول: النبي ﷺ أمرنا بالجماعة بهذا المعنى الشرعي بالتوحيد، بالإتباع، بإلتزام سلوك السلف، هذا لا ينازعنا فيه أحد، ونقدر نقول إن الجماعة بالمعنى ده إجابة عن سؤال نصه: على ما نجتمع؟ أو على أي شيء نجتمع؟ يبقى نجتمع على التوحيد، نجتمع على تحقيق الإتباع، نجتمع على طريق السلف، نسلك سبيل أبي بكر وعمر وشيوخ الإسلام جيلًا بعد جيل، أبو حمزة السكري، أحمد بن حنبل، الإمام الشافعي، شيوخ الإسلام، أئمة الإسلام عبر العصور.

يبقى خلاصة المنهج: كتاب وسنة بفهم سلف الامة، أما معنى الجماعة بالمعنى الحسي فسنزيده بيانًا من خلال الوقفات الآتية.

نكتفي بهذا القدر.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى إله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً